الاسم	عبير
النسب	الشارف
العمر	20 سنة
المدرسة	المدرسة الوطنية للهندسة المعمارية – فاس
البريد الالكتروني	abircharef2000@gmail.com

عنوان القصة " بحبرها الذي لم يجف "

للحيـاة معـنى خـاص حينمـا تقـرر أن تحلـم، و لا أظـن أن منـا فـردا لـم يحلـم يومـا. لـم يعمـل جاهـدا ليعـد حلمـه و آمالـه و تمنياتـه و وعـوده تجـاه نفسـه للإقـلاع! لعلـه يحققهـا و لعلـه يحلـق بجناحيـه !حرا عاليا كيفما يريد، و لعله أيضا يشق طريق الممكن وسط كل مستحيل

غـير أن الحيـاة لا تضـحك حينئـذ للكـل، لا تربـت عـلى كـتفي الكـل و لا تشـجع الكـل و لا تقـف أيضـا بجانب هذا الكل ليقلع و ليحلق، و إن رسم خارطة الطريق و أعد العدة للمضي قدما!

قصـتي القصـيرة "بحبرهـا الـذي لـم يجـف" هي قصـة واقعيـة لصـديقة قديمـة لي، أخفـت رواسـب جهل مجتمعنا أحلامها، اغتالت آمالها، أخلفت وعودها تجاهها، لكونها فتاة، لكونها أمنية

بذلك فارقت الحياة بطريقة بشعة، منتحرة.

أردت إهـداء هاتـه القصـة لكـل "الأمنيـات" الـلائي عـانين بسـبب ذلـك في صـمت، أردت إحيـاء أرواحهن لتتحدثن بلسانهن، بعد فوات الأوان، و لكل هاته المرة بقلمي، بحبر دم قلبي.

و لذلك أشكر المسابقة لمنحي فرصة إسماع صداها و صداهن بعد رحيلها و رحيلهن.

عبير الشارف

بحبرها الذي لم يجف..

لو أن أحدا همس بأذني قبل أن أختار نهايتي، موهما إياي بأن الغد أفضل..

بأن حياتي ستكون غدا أقل مللا من اليوم..

لعلي كنت أشعر بضيق أقل..

لتمسكت بحبل الحياة ولم أفارقها..

فنار صدري تأججت، ودموع عيني ذرفت..

ولم أجد حينها من يحنو علي ويواسيني..

لم أجد تلك الشخصية المثالية التي تمسك بآخر طرف في الحبل أو أطراف أصابعي.. كما تعودنا مشاهدتها في الأفلام والمسلسلات..

لتنقذني..

ولو بكلمة..

أو على الأقل بابتسامة.. لأغير رأيي في الموضوع..

لم أجد حينها من يشفق علي ويقول لي ...حتى ..سلام.

الكل في هذه الدنيا مشغول..بنفسه.

يكاد الواحد منهم لا يلتفت إلى الآخر..

فكيف يقوى على حمل هم الآخر؟ .

وقد بلغت قسوة الناس في مدينتنا حدا، يتعذر معه على الناس أن يخصوك بنظرة إشفاق، أو إلقاء طرف من رداء، لو أنك سرت بينهم عاريا.

" رأيت نفسي أعبر الشارع، عاري الجسد

أغض طرفي خجلا من عورتي

ثم أمده لأستجدي التفاتا عابرا

نظرة إشفاق علي من أحد فلم أجد"

بل لعلهم يتجاهلوك لو مت بينهم في الزحام ...

أموت..

لا يعرفني أحد .

أموت ...

لا يبكي أحد..

لم أجد من يحدثني وأحدثه. ما صادفته وأصادفه لم يكن إلا مزيجا من الألم والأحزان، والظلم والقهر، حتى من أقرب الناس إلي ...وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند. ..

في وقت مازال عودي لم يكتمل بعد، ولم أبلغ مبلغ الرجال..

لذلك سئمت نفسي الحياة مع الناس، وملت حتى من الأحباب.

كنت غريبة وسط من أعرفهم.. غريبة وسط من ظننتهم يحبونني وأحبهم.. غريبة وسط من ربطتني بهم صلات عدة.. وسط من شاركتهم عمرا.. بسنواته وأشهره.. بساعاته.. وحتى بدقائقه الغير معدودة..

فلطالما جلست أفكاري السلبية ووحدتي تجاهي لتتأملني بعمق.. ولتجعل فكري حبيسا لقوقعته أو لمحيطه المختلق الذي لا يدخله سواي.. وتستحوذا عليه.. لتذكراني بما انا عليه من بؤس و ظلم.. و لتسرقا مني.. متنفسي الوحيد..

و إن كنت في مجمع جالسوه العديد من الأشخاص.. تلمه العديد من الأصوات من ضحك وبكاء و صراخ..

فهم يريدونني بكماء لا تنطق..

أن أقول دائما نعم.. و أوافق على كل ما يقررون و يدسترون..

هم دائما على صواب ..و أنا دائما على خطأ..

بل الأدهى من هذا.. أنا دائما في نظرهم فتاة..

ناقصة علم و دين.. و لا يجب ان أقول لهم لا أو أنكر عليهم أفعالهم هذه.. و إن كنت غير راضية.. أنا..

فأكتب..

أكتب بدماء قلبي..

لأقتل..

لأفرغ من كل هذا و أمتلئ بهواء نظيف..

فلطالما كانت الروايات و الخواطر الناجحة جرائم ارتكبت تجاه ذاكرة ما أو مجتمع ما.. و يود الكاتب قتله على مرأى الجميع بكاتم صوت.. إذ أن وحده يدري أن تلك الكلمة الرصاصة موجهة إليه.. _كما قرأت في كتاب لأحلام مستغانمي_.

و لعل كتابتي هاته تكون رصاصات بعدما أرحل..

قريبا..

قريبا جدا..

فالسم يتغلغل في و الحبر يتغذى به..

أكمل..

أكتب باللغة التي أحس بها و تحس بي.. أتحدث بها مع نفسي المرهقة الضعيفة.. لعلها تضمد الجروح و تشفي الكسور.. و تقوي القلوب.. أدوخ إعجابا بالرد بواسطتها.. و إن كان حبيس ورق... كل التشبيهات التي تحبك بشكل دقيق على لساني و أبتلعها.. كل الانتقادات التي لا أجرؤ على تقديمها رغم أنها تخطر ببالي.. كل الشتائم المنفجرة في حلقي من دون أن أجد الفرصة لإطلاقها..

كلها رهينة ورق..

و إن كانت ترمى بعد ذلك و تمزق.. فإني أحفظها عن ظهر قلب..

هي مآلي الوحيد..

في غياب أناس تهديهم لي الحياة.. لعلهم يقفون بجانبي روحا و جسد.. يهتمون بي و لأمري.. يحبونني و أحبهم.. أناس أستبشر بلقاهم.. بسماع أحاديثهم.. قصصهم.. تجاربهم.... أناس قد لا تجمعني بهم ربما صلات دم أو قرابة و لكن ما يجمعني بهم حب اهتمام وفاء أمل.. صدق و صداقة.. سأسعد لسعادتهم و أبذل مجهودات لخروجهم من حالات الشقاء و التعاسة.. و هم كذلك..

أناس لم أجدهم.. بدء من عائلتي المكونة من ثلاثة عشر فردا _الكثرة فيها خير _لكن لا خير في كثرة عمدتها أمِّيّ ، جاهل سكير ، يقضي معظم وقته خارج البيت ، يتنقل من مقهى إلى مقهى للعب القمار ، أو لاحتساء الخمر...ولا يرجع إلا ليلا لأخذ ما جمعته المسكينة أُمي من عمل يومها مع الناس ، متنقلة من بيت إلى بيت _عكس العمدة _ وحينما لا تجد عملا ، تبقى الفراخ / الإخوة بدون طعام ...فهي المسكينة التي تغدو وتروح لتطعمهم...

ورغم ما تقوم به المسكينة لا تقوى على رفع رأسها أمام كبير البيت _أبي _ ولا يسمح لها بالكلام إلا إذا أذن لها.

فلا صوت يعلو على صوت العمدة.. والرجال قليل..

فحتى أكثر الرجال ضآلة.. يرون أنفسهم أشباه آلهة أمام أية امرأة..

لكنه الواقع.. و الواقع لا يرفع..

ماذا تفعل أم ضعيفة جاهلة محبطة محطمة أمام إحدى عشر طفلا.. و زوج هرم خرف أمي بعد أن أصبح من العمر عتيا.. ماذا ننتظر من رواسب تشتت أكثر مما توحد..

لم أنادي سيد البيت و ملكه من قبل بهذه الكلمة..

أبي..

لم تمر على قلبي و تلامس روحي.. أو حتى على لساني..

و إن كان العديد منكم يرددنها.. بحب..

كنت أجربها..

أجرب أن أقولها بحب.. أبي.. أبي..

أحاول أن أسمع نغمتها و لحنها.. و أتساءل كيف تبدو إن أخبرت عمدة البيت بها.. وكيف سأبدو أنا حينما أقولها و أرددها..

لا أعرف عنه الكثير..

و لا أريد أن أعرف الآن.. في لحظاتي الأخيرة..

فكلنا.. نختنق به و بوجوده..

باستثناء أخي الأكبر.. النسخة طبق الأصل لأبيه..

أبي..

أ أخذك هذا العالم مني لتغدو مشغولا شاردا كل يوم.. و لا تراني في عالم مزدحم بأرواح و أجساد و أوجه تتغير ألوانها و أحجامها و أشكالها.. لا تجيب حتى على مناداتي.. رسائلي و لا على مكالماتي.. أكنت عبئا لتتخلص مني وسط كل ذاك الزحام.. و تمضي.. دون للالتفات للوراء للتفقد.. و السؤال عني هنا و ذاك إن كنت خائفة وسط كل تلك الأوجه و الأرواح التي تنظر لي بعين شر تخترقني لكوني فتاة تتمشى لوحدها في مكان عام..

تعلم أن الخوف يستحوذ علي لكوني وحدي في تجمعات كتلك.. في حياة كتلك.. تعلم أن عالمنا فيه من المصائب و قلة الأدب ما يكفيه.. و إن جعلني ضحيته.. تراك سترضى... أو أنك لن تكترث هاته المرة أيضا.. تعلم أني أحب الثرثرة.. أحب السرد و الوصف.. أحب أن أغني و أرقص..

ليتك تكون لي موجها عاقلا فأطمئن.. أو مستمعا منتبها فأرتاح.. أو ناصحا حنونا عطوفا.. لأمشي في طريق مستقيم لا شيب فيه..

لكن للأسف..

لم تكن أبا و لم تكن لا موجها عاقلا و لا مستمعا منتبها و لا ناصحا حنونا عطوفا..

أعتذر منك.. و لكنك بصراحة.. كنت وحشا مرعبا.. كنت كابوسا وقت دخولك المنزل.. ليهرع الكل و ينهض الكل.. لينطفئ التلفاز و توضع الهواتف.. لتوقف الضحكات و حتى الابتسامات.. فلا يمكن أن لا نسب و نضرب كل ليلة.. لأتفه الأسباب.. فنجلس بعدها كلنا على تلك المائدة في جو يسوده الرعب.. و تكون ممثله و مخرجه.. ليتحدث من أذنت له و يغادر من أذنت له أيضا..

آه كم أكره كل هاته السيناريوهات.. ليتها تمزق و ترمى في مكب النسيان..

ليتك تتغير و يحن قلبك بعد رحيلي.. على أمل أن يمر عمر من بعدي بسلام..

بقيت جالسة في مكاني لفترة.. واضعة لكل الاحتمالات التي قد تجعلك لا تلتفت بعد تركي في الدنيا لوحدي.. أقصرت في شيء محدد.. أ غدرتك أم طعنت وراء ظهرك.. .. فلم أذكر أني كنت يوما هكذا.. لم أذكر أني لم أقمع الطفل الذي بداخلي.. لأرضيك.. إلى أن أصبح عمري أكبر من سني..

أ أعتذر منك لكوني عفوية أكثر من اللازم.. أم لحديثي وقت صمتك.. أم للأجوبة التي لم تعرف روحي كيف تجيب روحك.. لن أفعل ذلك.. أسئلتي تلك استنكارات.. إذ أن اعتذاراتي لنفس أرهقتنا و أتعبتها لأجلك.. و إن كانت علي حق..

أنهكت قواي و لم أعد قادرة على المشي و لا على الركض.. شريط ذكرياتي مليء بوقاحتك و قساوتك تجاهي.. تعبت..

ليتك أب تخرج الحي من الميت و تخرج الروح من ضيق الجسد و تخلق الطمأنينة بعد الحرب.. ليتك أب يسعى لتأمين كلسيوم الأمل لترميم نفوس ألحقت بها كل أنواع الدمار.. ليتك أب تعيد الحياة لحياتي و تجعل العيد الذي يحدث مرة واحدة كل عام.. أعيادا تتكرر طيلة أيام السنة ولا أمل منها.. ليت لك قوة تستوحي بها قوة كلمات و صدق عبارات و حكمة تصرفات.. ليتك كنت ملاكا.. معصوما من كل التفاهات و الأخطاء.. ليتك و ليتك...

لكنك لست بذلك..

للأسف..

إن كنت إنسانا.. أي إنسان أنت.. أي فصيلة أنت.. لم لا تشبه كل الآباء..

أيا تكن.. إنسانا.. كائنا حبريا كنت أم صوتيا.. روحا.. خيالا.. أو غيرها..

فأنت أب..

و من واجبك أن تجعل روحي تصعد و تتحرر من كل تلك الأقفاص التي تكبلها و إبداعاتها.. تغصبها حرياتها.. تنظر إليها بعين شر.. من واجبك مرافقتي في السراء و الضراء.. و الإعتناء بي.. بإخوتي.. بأمي.. و الإمساك بأيدينا في عالم متزاحم بالأوجه.. أ و ليس أهلك عليك حقا..؟

تغير من أجلنا..

دعك هنا.. دعك معنا.. بحب.. و لا تتركنا في عالم واسع.. بشع.. تائه.. مشتت.. خائف.. غارق وسط أوهام.. اعتبرها تسلطا.. أنانية أو ما شئت.. لا حق لك بالاختفاء و لا الاختباء.. و لا حق لك بتركي وسط الزحام..

تراك تصدقني..

و تعمل بأحلامي و تخيلاتي.. و أحلامي..؟

ابنتك البكر.

أخي الأكبر.. عماد عبد الرحيم..

اسم ليس كمسمى.. فليس بأعمدة قوية صلبة.. يعتمد عليها لرفع ثقل المنزل..

يعتبر نفسه رجل البيت و عماده بعد غياب أبيه... مدلل، غبي.. ذكر يعامل من قبل العمدة معاملة الاحترام والتقدير لأنه ذكر...

له كل الصلاحيات في مراقبتي والتدخل في شؤوني الشخصية وشتمي وضربي...

لأتفه الأشياء..

مع العلم أني أعلم منه وأفقه.

فكغالبية الأطفال الذين تعلموا الكتابة و القراءة توا كان.. يتهجأ الحروف و الكلمات التي يراها بصوت منخفض و لربما مرتفع.. يتلاعب بالفاعلات و الضمائر و الأسماء.. حسب هواه.. فيصبح الهو هي .. أنا كلنا.. أنت هم.. ثم يقذف رصاصاته ليقتل.. المهم أن لا ينقذ منها أحد.. فبنظارته المانعة للماء يكلف نفسه مهمة الغوص عميقا في قاع البحر و يستخرج أخطاء و مساوئ و أعراض الآخرين إلى اليابسة.. ينقب فيها دون احترام للشخصيات.. هكذا كان و هكذا سيبقى.. فمن شب على شيء شاب عليه.. إلا نادرا..

آه حينما تقرأ كل هذا.. لن أكون هنا لتسبني و تشتمني و تضربني بجهل أمام كل من أعرف.. لن أرى بشاعة صورتك و لن أسمع صوتك.. و لن أبكي..

أجل لن أبكي كما عهدت..

كفاك يا أخي مهاجمة لحياة مجتمع بلسانك الملقم.. صحيح أنه لا يستطيع أحد إسكاتك لكونك ذكر.. لكن لطالما كانت العقول الفارغة و القلوب الحسودة أكثر ثرثرة.. فأرجوك لا تفتح فمك إن لم تكن هنالك ضرورة لازمة لفتحه.. لن يستطيع الكل تحمل ثقل كلماتك أينما حل و ارتحل.. كلمات ليست كالكلمات.. تشغل البال.. تريق النفس و ترهقهما إرهاقا.. ربما قد قيلت باستهتار.. لكن ما تركته من دمار مرعب..

أخي أرجوك.. صمتك خير.

أما إخوتي العشرة الباقين : إناث وذكور تتراوح أعمارهم بين سبعة أشهر والسابع عشرة سنة .. مغلوب عن أمرهم.. لا ينظرون إلى الوراء و لا يلتفتون إلى الخلف.. فالريح تتجه للأمام و الماء ينحدر إلى الأمام.. و القافلة تسير إلى الأمام..

لا يخالفون سنة الحياة.. و لكن بجهل..

أنا أكبرهم سنا بعد الكبير أخي _ ولي عهد أبيه_.

نعيش _كلنا_ في منزل صغير مكون من ثلاث غرف في مدينة صغيرة جميلة خضراء شمال المغرب تدعى تاونات.. أحب صخبها الهادئ و هدوءها الصاخب.. أحب ألوانها المبرقعة المختلفة.. روحها الدافئة الصاعدة.. مناظرها الخضراء البريئة الخلابة.. ابتسامتها الساحرة.. و إن كان الكل فيها يعرف الكل عن الكل.. فعمدة البيت يحرص على أن يبقى منزلنا شبحا.. لا يراه هذا الكل و لا يسمع عنه شيئا..

فسمعا و طاعة..

...

لن أطيل أكثر..

اسمي أمنية عبد الرحيم.

و إن لم أكن أمنية أمل و مراد و بغية عائلتي و لم يكن والدي رحيما يوما بنا و إن جزء من اسمعه يدل على الرحمة و العطف و الشفقة..

فتاة في الثامنة عشر من عمرها.

طموحة، جميلة، مؤدبة خلوقة متعلمة..

رغم ما أعيشه من معاناة.

أود الفرار من هذا الواقع الأليم بإكمال دراستي والحصول على عمل كان هو حلمي لإنقاذ نفسي وعائلتي من هذا الجهل والفقر وبعض الرواسب التي عششت في عقولهم...

لا أريد الزواج كجارتي وصديقاتي اللاتي لا يتجاوز عمري أعمارهن، لأن وضعيتي العائلية لا تسمح بذلك....لذلك كرست حياتي لمتابعة دراستي..

خفية ...

خوفا من لسان والدي السليط، ومن كفوف أخي التي تتعالى بدون ذنب أو جريرة ...

أعمل داخل البيت وخارجه..

أدرس جاهدة وأعتني بالكل ...

أطبخ وأقوم بأعباء البيت كلها ، لأن المسكينة أمي خارجه..

للإشارة، دراسة الفتيات مضيعة للجهد والوقت بالنسبة لكل من العمدة _أبي _وابنه...

فنحن بالنسبة إليهم خلقن فقط لخدمتهم ورعايتهم ...

أرادوني أن أصبح زوجة / أما قبل أن أعطي فترة طفولتي حقها من اللعب و فترة شبابي حقها من الطيش...

إلى أن تصبح تأملاتي الخاصة تجري ندما وحسرة بعد عقد من الزمن...

رغم ذلك كابرت و جاهدت و اجتهدت في كل ذلك السواد المعاش..

موهمة نفسي أنه لا يمكن أن تضحك الحياة لي أربعا و عشرين ساعة في كل يوم.. لا يمكن لها أن تربت على كتفي دائما.. و تخبرني مشجعة أني دائما على صواب و أن الآخرين على خطأ.. لا يمكن لها أن تقف ضدي ظلما.. لذا فقد تصفعني أحيانا كفا لتخبرني ما تعنيه كلمة كفى من معنى.. قبل إقلاع القطار.. و لا أنا على متنه.. لا يمكن لسحابة القلق و الحزن أن تمر و لا تسلم علي.. ثم ترحل ثم تعود مجددا ومجددا..

فبعد كل ضيق فرج و بعد كل عسر يسر..

حلمي كان جاهزا للإقلاع.. فقد تحقق نهاية السنة بحصولي على شهادة البكالوريا بميزة حسن.. تخول لي الالتحاق بالجامعة لأشق الطريق لطموحي..

ضحكت أخيرا لي الحياة.. ربتت على كتفي مشجعة اياي.. فخورة بما حققته.. لتغادرني السحابة السوداء و يصحو الجو..

إلى أن وقف أبي وابنه حاجزا أمام ما بنيته..

ليهدماه يدا في يد..

ليحولا كل أحلامي لكوابيس..

و ليجعلا من شهادتي تلك.. مفتاح كل الأبواب.

أداة عاجزة عن فتح تلك البوابة..

بتمزيقها..

حكم علي بالبقاء في ذلك القفص للأبد..

أو أن انتقل لقفص آخر أسوء من قبله..

كسرت جناحاي وما عدت قادرة على الطيران والتحليق من جديد..

فقدت الكل قبل أن أفارق الحياة..

أحلام اختفت..

آمال سرقت..

وعود أخلفت..

فلم الحياة ؟..

يقال أنه لا يمكن أن تضحك لي الحياة كل يوم..

لكنها لم تضحك لي يوما..

لم تهمس في أذني مشجعة مصبرة إياي.. لم ترسل لي أشخاصا يحبونني ويهتمون لأمري.. كيفما أنا..

و لو واحدا..

يجعلني أفتح عيني كل صباح في أمل رؤيته و الحديث إليه و إن كان واحدا من والدي..

أن أرجع خطوة للوراء أو أن أتقدم للأمام في كل هذا الظلام.. سيان بين الخطوتين..

لن يتغير شيء..

وداعا لحياة رواسبها جهل و فقر..

وداعا لآمال و أحلام و أجنحة تحلق..

وداعا لكل هذا الظلام..

سأمحى كأني لم أكن..

غير ما خططت لإنهاء حياتي هاته..

حسب نزار قباني "كل مبدع يتيم".. يتامى الأوطان.. يتامى الأمكنة.. يتامى الأصوات.. يتامى الإنتماء و يتامى الأحلام.. غدونا أمة أيتام..

و ليشهد الزمن أني جاهدت في هذا اليتم.. إلى أن أعد من أمة الأموات..

سأنهي ما كتبته بتوصيات لكل الآباء..

كفاكم أطفالا إن لم تستطيعوا توفير احتياجاتهم.. فالجاه لا يكمن بعدد الفتيان أو الفتيات وإنما بمستواهم الثقافي، الفكري و الفني .. بتربيتهم و تعليمهم.. بمساهمتهم في دورة الحياة.. كفاكم تمييزا بينهم.. كفاكم منعا للمودة و الحب و الحنان قلب الأسرة.. داعبوا أطفالكم/ فلذات أكبادكم و مازحوهم.. علموهم و تعلموا منهم.. كفاكم احتقارا لهم و لقدراتهم وأفعالهم.. كفاكم ترسبات جهل.. كفاكم تمييزا بين كلا الجنسين.. نحن كفتيات كرمنا كغيرنا.. كفاكم ترسبات جهل.. لكم بالكلمة الطيبة و الابتسامة.. تنقذ أرواحا و تجعلها تزهر.. لا تخفوا حبكم.. أخبروا من تحبون به.. عرفوهم بإيجابياتهم و شدوا بأيديهم لتجاوز سلبياتهم.. بكل حب.. لا تبخلوا عليهم.. سيشق كل ذلك جدولا يجري فيه الماء و لو بعد قرن.. و ستجعل الحياة تهمس لهم يوما -في حالات كهذه- لعلهم يصدقونها.

... كما حدث معي بالضبط.

بحبر لم يجف.. طوت أمنية صفحاتها الأخيرة.. و وضعتها في ظرف و الدموع تأبي التوقف عن الهطيل.. توجهت لوالدتها.. قبل أن تسلمه إياه.. سألتها إن أحبتها يوما أو إن كانت تحبها..

سؤال لو طرحته سابقا.. لكان غير مجرى حياتها إلى الأبد.. فلم تسمع هذه العبارة كثيرا أو بالأحرى لم تسمعها يوما و لم تفهمها بعمق إلى اليوم بعدما احتضنتها والدتها للمرة الأولى.. لتشعر أنها جزء منها فعلا..أن حياتيهما مرتبطة.. و أن كان عليها أن تصبر لأجلها.. لعلها تخفف عنها و تعينها.. و إن كان القطار الآن قد أقلع.. و أمنية على متنه.. نطقت الأم بأربعة أحرف سرعت مفعول السم في جسد أمنية النحيف.. "أحبك.. بالطبع أحبك أمنية.. أحبك بنيتي الغالية.."

انقبض قلب أمنية انقباضا.. اصفر لونها.. أصيبت بدوار مفجع.. بالكاد أصبحت قدماها قادرتين على حملها.. ترتجف.. تتسارع أعراض السم أكثر فأكثر.. فالرصاصة التي أعدتها لتقتل بها.. قتلتها هي..

قبلت يدا والدتها.. جذبتها لصدرها و طوقتها بحنان و عاطفة ممزقة.. بكتا سويا بكاء يعجز اللسان عن وصفه.. و القلب عن تحمله.. و الكون عن استيعاب فيض عبره.. امتزجت دموعهما.. و لو مر أحد منا لبكى.. أحست بخطورة ما أقدمت عليه.. و بدأ الندم و الحسرة تتغلغلان فيها.. و الألم بركان اشتعل لا يمكن أن تنطفئ حممه.. و ها هي تترك والدتها وحيدة مع فراخ كثيرة و زوج ذكر غير مكترث..

سلمتها أمنية الظرف.. قالت بقلب ينزف من الداخل كما تنزف أنسجة الجسد كلها من شدة الموقف و قوته.. و من سرعة السم و جريانه في جميع الاتجاهات في جسدها النحيف.. تلفظ أنفاسها الأخيرة و الدماء تملأ فمها ثم تخرج و تنسكب..

أمي حبيبتي...

اعذريني على إنهاء حياتي بهاته الطريقة البشعة..

اعذريني على هذا..

اعذريني لأنانيتي..

لم أفهمك حقا إلا متأخرا جدا..

و بعد أن أوشك الوقت على النفاذ..

و الآن بعدما أنسحب من هذا العالم و أنتقل لآخر يختلف عن هذا.. أجد أني أريدك أنت وحدك من بين كل هؤلاء الأشخاص..

كم أني حمقاء متهورة..

اعذريني أرجوك..

تتعبين كثيرا لأجلنا..

اعذريني لأنك ستكونين وحدك الآن..

كم أتمنى لو أني أبقى معك الآن..

أبقى معك..

و لأجلك..

لكننا نفهم دائما متأخرين حبيبتي..

نفهم دائما متأخرين..

للأسف.

و إن التقينا في الحياة الأخرى.

فلن أترك يدك أو حضنك أبدا.

سأكتفي من الجنة بهذا..

أحبك أيضا..

رحلت...

و هي تغرق ضحية لطوفان الجهل و العادات و القلق و المخاوف..

محفوفة برياح الطموح و الأمل و الحب اليائس.

أدرك العالم برمته الزلة التي زلها تجاه أمنية.. فالصمت الذي عم له لغته الخاصة و الألم الأعظم غدا واقعا..

تعالت صرخات الأم و هي تدفن وجهها بين راحتيها بعدما سيطرت عليها زوبعة من الدمع الخالص و المحرر من الأعماق.. و مشاعر عارمة بدت من ثقلها تغطس و تغرق داخل كل من مر و رأى بشاعة ذلك المنظر..

انهار الأب لدى قدومه.. ساد الظلام وجهه و أبت أن تشرق الشمس فيه.. و لا أظنها ستشرق بعدما حدث.. فشريط الذكريات الذي يمر أمامه الآن أعمى عينيه.. فسقط أرضا لثقله..

و لا تحين مندمي.. و لا تحين مندمي.. و لا تحين مندمي...

لعل ما كان يحاربه بالأمس يوافق عليه اليوم.. بعد ندبة لا تمحى..

للإشارة.. أمنية واحدة من الفتيات التي أعرفها شخصيا.. قصتها هاته - بلسانها- هي مثال لقصص كثيرة أخرى.. فتيات أقدمن على أكل سم لتفارقن به الحياة الدنيا ظنا منهن أنهن سيرتحن بعد وضعهن لهذا الحمل الثقيل..

ففي وقت تغلق فيه كل النوافذ و الأبواب.. ترد فيه كل الآمال و الدعوات.. تشعرن بغرابة ما يحدث لهن.. يسرع عقلهن لتأليف حكايات و خطط.. يتأرجح بهن بين شك و يقين لا تشرق له الشمس.. لتتجادلن باستمرار مع كائنات شبحية.. فلا يمكن لكلام أن يمر دون أن يزلزل ثقتهن بأنفسهن و رغبتهن في الاستمرار..

إلى أن تقررن هذا القرار..

غير أن المجادلة و الشجار و التحامم مع الحياة لم تكن يوما وسيلة لفراق الحياة..

فلم تخلق الأحلام كي لا تتحقق..

و لم تخلق أرواحنا لننهيها بأيدينا..

كفانا تحميل أنفسنا ما لا تطيقه كي نهجُرَ و نُهْجر..

كفانا انحيازا لما سيدمر حياتا مذهلة خارقة للعادة كتلك التي خططنا لها..

فلنسطوا على الحياة و لنمتص نخاعها كل يوم مادام ذلك ممكنا..

فذات يوم لن نكون شيئا..

سنرحل و كأننا لم نأت..

يبقى الهروب من واقع حياة لتحقيق حلم حل لا غبار عليه.. فلو أن أمنية تحدثت عن حلمها و رغبتها.. مشاكلها وضعفها.. ووجدت من ينصت ويستمع إليها.. لرق قلبها..

و لهمست إليها الحياة مشجعة إياها بدل الانتحار...

فلم و لن يكون الانتحار يوما حلا..

...